البعد الإصلاحي للقصّة القرآنية من خلال تفسير "في رحاب القرآن"
- قصّة النّبي لوط عليه السّلام أنموذجا-

The reforme dimension in Quran stories in the light of exegesis of " fi rehab Al Quran" Case of prophet Lut story.

أ.د.حدة سابق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / قسنطينة
necira03@gmail.com

رقية دريدي

طالبة دكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / قسنطينة
rokayadridi23@gmail.com
مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

تاريخ الوصول: 2018/09/14 / القبول:2019/03/06/ النشر على الخط:2019/03/15
Received: 14.09.2018/ Accepted: 06/03/2019 / Published online:15/03/2019

الملخّص:

يعتبر تفسير الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض ــفي رحاب القرآن ــ من التّفاسير المعاصرة التي ارتبطت ارتباطا كبيرا بالهدف الإصلاحي لملامسته قضايا الواقع المعيش، حيث كان هدف الشّيخ الأوّل من تفسير كتاب الله تعالى هو إيصال الهدي القرآني إلى كل بيت، وإصلاح أحوال المجتمع الفاسدة.

وفي هذا المقال سنتناول جانبا من الجهود الإصلاحيّة للشّيخ بيوض- رحمه الله- من خلال القصّة القرآنيّة ؛ التي لعبت دورا هامّا في الإصلاح بمختلف مجالاته، حيث استغلّها الشّيخ أحسن استغلال، ووظّفها توظيفا مميزا تفسيرا وتنزيلا على أرض الواقع، ومن بين القصص التي ركّز عليها الشّيخ واستلهم منها العبر والعظات قصّة لوط عليه السّلام؛ التي لامست الكثير من الظواهر الأخلاقية الفاسدة التي يتخبّط فيها شباب المسلمين اليوم، وانطلق منها داعيا وناصحا ومصلحا ومربيا، مؤكّدا أنّ القرآن الكريم هو المنطلق الأوّل لإصلاح الأخلاق وتهذيب النّفوس.

كلمات مفتاحية: الإصلاح ، الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، قصة لوط عليه السّلام.

Abstract:

Shaikh Ibrahim ibn Umar's interpretation" fi rihab al Quran" is considered to be as one of the contemporary interpretation that was closely linked to a reformist purpose owing to its realistic dealings.El shaikh's main objective from interpreting Allah's holly book was to transmit Quran guidance to every house and redress the corrupt community conditions.

In this article, we are going to take aside Shaikh Bayoud's reformist efforts-mercy be upon him- from the quranic story which has played a significant role in the reform in its diverse fields.

The one that El Shaikh best exploited and applied in a distinctive way both explanatory and commentary on the ground.

Among the stories that inspired El Shaikh and he focuses upon the derive the lessons and sermons from is the one of lot -peace be upon him – which dealt with numerous ethical phenomena in which the Muslim youth is floundering today .

El Shaikh was herald, an adviser, a reformer and an educator, stressing the fact that Quran is the main approach to reform ethics and refine souls.

Key words : Reforme ,sheikh Ibrahim bin Omar byod, story of luth PUH .

مقدّمة:

يعتبر القصص القرآني مجالا خصبا لإبراز القيم الدّينية ، فهي توجّه وترشد من خلال المعاني والمقاصد التي يبرزها ، غير أنّ تلك القيم وتلك المقاصد تختلف من مدرسة إلى أخرى، ومن تفسير إلى آخر ،وذلك لتعدّد الاتجاهات عند المفسّرين واختلاف مشاربهم في تفسيرهم للقرآن الكريم.

ولاشكّ أنّه قد كان لذلك انعكاساته وآثاره على تناولهم للقصص القرآني واخترت في هذه الدّراسة تفسير: " في رحاب القرآن" لإبراهيم بن عمر بيّوض لأنّه يعتبر من أكثر التّفاسير الإباضية عناية بالقصّة القرآنيّة ومعالجة لقضايا الواقع من خلال القرآن الكريم، ولأنّ أهم موضوع ينبغي التّركيز عليه في أي عملية إصلاح هو الموضوع الأخلاقي فقد انطلق الشّيخ بيوض من خلالها لمعالجة الكثير من القضايا الأخلاقية التي كانت سببا في هدم القيم والمبادئ الإسلامية خاصّة في فئة الشّباب، وتعتبر قصّة لوط عليه السّلام من أكثر القصص التي عالجت موضوع الانحلال الأخلاقي في أمّة لوط عليه السّلام، وبيان ما ينجرّ عنه من زوال الأمم وحلول الغضب الرّباني عليها. وحاول الشّيخ بيوض إسقاط واقع الأمّة الإسلامية اليوم وما تعانيه من الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي في شتّى المجالات على قصّة لوط عليه السلام ، وانطلق منها ليذكّر المسلمين بخطورة الوضع الأخلاقي في مجتمعاتنا الإسلامية، وبما أعدّه الله من عذاب لمن تعدّى حدوده، ناصحا لهم رافضا لحالهم؛ خاصّة وأنّ أخلاق قوم لوط أصبحت متفشّية في مجتمعاتنا بدرجة كبيرة: وانطلاقا ممّا سبق سنحاول من خلال هذا المقال الإجابة على التّساؤل الآتي:

ما هو البعد الإصلاحي للقصة القرآنية عند الشّيخ بيوض رحمه الله من خلال قصة لوط عليه السّلام؟

فسعيت من خلال المنهج التّحليلي إلى إبراز نظرات الشّيخ بيوض في قصّة لوط عليه السّلام ، وكيف عالج من خلالها المفاسد الاجتماعية والأخلاقية، وكذلك إبراز أهداف القصّة القرآنية، والتي من أبرزها الوقوف على القضايا الأخلاقية لملامستها للواقع، لنسلّط الضّوء على أهميّة المنهج الإصلاحي وآثاره الإيجابية في المجتمع .

أما فيما يتعلّق بالدّراسات السّابقة لهذا الموضوع ، فقد تنوّعت ، وأغلبها تدرس فكر الشّيخ الإصلاحي بصفة عامّة، من خلال نشاطاته في مختلف المجالات خاصّة الاجتماعيّة والسّياسية منها ، أما موضوع هذا المقال فهو يختص بإبراز فكر الشّيخ الإصلاحي من خلال تناوله للقصّة القرآنية. ومن بين الدّراسات السّابقة التي اعتمدت عليها :

- **منهج الشيخ بيوض في الإصلاح للأستاذ الدّكتور نور الدّين سكحال:** وهي عبارة عن رسالة ماجستير في العلوم الإسلاميّة تخصّص الدّعوة والإعلام جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، نوقشت سنة 1995م ، أشرف على الرّسالة د.بشير بوجنانة تناولت منهج الإصلاح عند الشيخ بيّوض ، انطلاقا من حياته وفكره ونشاطاته في المجال التّربوي والتّعليمي والاجتماعي في المجتمع الجزائري، وبيان الدّعائم الأساسيّة لفكر الشّيخ بيّوض الإصلاحي.

– **التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، للدكتورة نادية وزناجي**: وهي أطروحة دكتوره في العلوم الإسلاميّة تخصصّ الكتاب والسّنة ، تحت إشراف الدكتور أحمد رحماني، نوقشت سنة 2008م ،وهي رسالة مهمّة أيضا تناولت فيها جهود المفسّرين في التّفسير الشّفاهي وأثره في إصلاح المجتمعات وقد تناولت عدّة مفسّرين من بينهم الشّيخ بيوض رحمه الله تعالى.

كما كتبت العديد من المقالات في فكر الشّيخ الإصلاحي من بينها:

– الحركة الإصلاحيّة الحديثة وجهودها في تفسير القرآن الكريم: تفسير الشّيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيّوض نموذجا، للدكتور يحي بن بهون حاج امحمد، جامعة غرداية .

– الشّيخ بيوض وجهوده في الإصلاح الاجتماعي في الجزائر، أ.لخضر بوطبة ، جامعة سطيف.

أوّلا: تعريف الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره في رحاب القرآن

1. تعريف الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض

هو إبراهيم بن عمر بابا بن إبراهيم بيوض، ولد في يوم الجمعة الحادي عشر من ذي الحجّة الموافق للحادي والعشرين من شهر أفريل عام1899 م بقرية القرارة ولاية غرداية، إحدى قرى وادي ميزاب في جنوب الجزائر، تلقّى تعليمه فيها ، وعرف بالنبوغ والذكاء وحسن الحافظة وذلاقة اللسان من صباه.

في سنة 1921 الموافق لـ: 1339هـ توفي شيخه وأستاذه الشيخ الحاج عمر بن يحي ، فخلفه في رفع راية العلم والإصلاح في القرارة، التحق بحلقة العزّابة الهيئة الدينية العليا في البلدة سنة 1922 م، ثمّ عيّن بعدها شيخا للوعظ والتّدريس بالمسجد الكبير بالقرارة.

أسّس الشّيخ في عام 1925 معهد الحياة لتعليم العلوم الشّرعية والعربية برغم الظّروف الصعبة والمضايقات الاستعمارية، كما شارك في وضع القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانتخب عضوا في إدارتها عام 1931.

في الفاتح من شهر محرم 1353هـ الموافق لـ: 15 أفريل 1934م بدأ التّفسير بطريقة متسلسلة من سورة الفاتحة ثمّ سورة البقرة إلى خاتمته [1].

تقلّد الشيخ عدة مناصب فعيّن رئيسا لمجلس حلقة العزّابة بالقرارة عام 1940م، كما انتخب نائبا لدائرة غرداية في المجلس الجزائري عام 1948م وأعيد انتخابه لنفس المجلس سنة1951 م، وعين أيضا مندوبا للتربية في اللجنة التنفيذية المؤقتة المنبثقة عن مفاوضات إيفيان بين قيادة الثورة الجزائرية والحكومة الفرنسية المستعمرة، كما كانت للشّيخ أدوارا هامة في تاريخ الثورة الجزائرية ومواقف يشهد له الجميع فيها بالفضل.

في مساء يوم الأربعاء الثّامن ربيع الأول 1401هـ الموافق لـ: الرابع عشر يناير 1981م توفي الشّيخ بيّوض عن عمر يناهز خمسا وثمانين سنة، وشيع جثمانه في حشد رهيب بمسقط رأسه بالقرارة [1].

---

[1] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، تحرير عيسى بن محمد الشّيخ بلحاج، ط2 جمعية التراث، القرارة ،غرداية الجزائر ج1، ص 27 . بتصرّف/ جمعية التراث ، معجم أعلام الإباضية ، قسم المغرب،(1999) ، القرارة ، غرداية، ج2 ،ص 36.

لم يترك الشّيخ بيّوض تراثا مكتوبا لأنّه كان يعنى بتأليف الرّجال فخلّف مئات من الطّلبة المتعلّمين والنّخب المثقّفين الذين التحقوا بمختلف المعاهد والجامعات فتخرّجوا ينشرون فنون العلم والمعرفة. كما ترك عشرات من المدارس والمعاهد والجمعيات الخيريّة، والمنظّمات الثّقافية عبر كافّة تراب الوطن [2].

فكل مؤلفاته الآن كتبها تلاميذه نقلا من دروسه الشفهية المسجلة في الأشرطة السّمعية فله تفسير مسجل في أشرطة مغناطيسية سمعية للنصف الثاني من القرآن الكريم. فتاوى مطبوعة في جزئين. أجوبة ومراسلات مخطوطة.

مئات من الدروس المسجّلة في أشرطة مغناطيسية لمناسبات مختلفة هي عصارة فكره: دينية ، اجتماعية ، ثقافية ، وطنية ودولية[3] .

2. تعريف تفسير في رحاب القرآن:

إنّ أجل ما تركه الشيخ بيوض هو تفسيره للقرآن الكريم وإنّ الجهد الذي بذله الشّيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج في نقله من المسموع إلى المقروء لهو جهد ينوء بالعصبة أولي القوة كما عبر عنه د/محمد صالح ناصر الذي شرّفه الشيخ عيسى بالتقديم للتفسير، فقد تفانى بكل ما يملك تفانيا عظيما في نقل التفسير من المسموع إلى المقروء ، والمتصفّح لهذا التفسير يعرف قدر هذا الجهد ولا أرى ما حمله على ذلك إلا حبا لكتاب الله أولا وإجلالا واحتراما لأستاذه ووفاء له ولعلمه.

وبداية الرّحلة مع تفسير كتاب الله بالنّسبة للشّيخ بيّوض كانت سنة 1921، وهو ما يزال في العشرين من عمره حين جلس إلى الناس يفسر القرآن، معتمدا في ذلك على تفسير البيضاوي ، ثمّ انتقل إلى تفسير الشيخ عبده الذي كان يعجب بمنهجه الإصلاحي إعجابا كبيرا ، فاعتمد تفسيره لجزء : عم يتساءلون" ولم تكن طريقته عندئذ واضحة متسلسلة ، إذ كان مشغولا بالعمل الإصلاحي ، وبالتعليم ، وإعداد الجيل لتحمل رسالته الإصلاحية والتربوية حتى إذا كان يوم السبت الفاتح من محرم سنة 1353 هـ قرّ منه العزم على بداية التفسير من أول سورة البقرة، بطريقة متسلسلة متتابعة .وكان تفسيره عبارة عن دروس عامّة تلقى في مسجد القرارة أمام عامّة النّاس أساتذة وطلّابا ، صغارا وكبارا يلقيها بالعربية الفصحى مع شروح باللهجة الميزابية أو العربية الدارجة رغبة منه في إيصال رسالة القرآن إلى كل قلب، وإبلاغ إشعاع الهدى الرّبّاني إلى كلّ بيت.[4]

ولأنّ مدينة القرارة لم تعرف النّور الكهربائي آنذاك بسبب الاحتلال الفرنسي، فإنّ الدّروس التي ألقاها قبل سنة 1961م لم تحظ بالتّسجيل الصّوتي، ولذلك ضاع تفسير الشّيخ وفقد كليّا من أوّل البقرة إلى الآية سبعين من سورة الإسراء إلى قوله تعالى: ﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

---

[1] محمد علي دبوز، معجم أعلام الإباضية، مرجع السابق، ص 37.

[2] إبراهيم بيوض، في رحاب القرآن، المرجع السّابق ج1، ص 29.

[3] إبراهيم بيوض، في رحاب القرآن، المرجع السّابق ج1، ص27.

[4] المرجع نفسه ،ج1، ص5

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ولذلك فبداية التّسجيل الصّوتي كان سنة 1961 بداية من قوله تعالى: ﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾(الإسراء 70).

واستمرّ الشّيخ يقدّم تفسير كتاب الله قرابة ستّين سنة وختمه بسورة النّاس بعد صلاة العشاء من يوم الثلاثاء السادس والعشرين ربيع الأول 1400 هـ الموافق لـ: الثاني عشر فبراير 1980م، وقد أقامت الجزائر حكومة وشعبا مهرجانا عظيما بمدينة القرارة تتويجا للشّيخ ولمسيرته بحضور جمع من العلماء والفضلاء، وكان ذلك في ماي 1980م [1].

ولم يعش الشّيخ بعد هذه اللحظة فترة طويلة بل وافته المنية بعدها ببضعة أشهر تاركا وراءه فيضا غزيرا من علم جليل.

لم يكن غرض الشّيخ بيّوض من تفسير كتاب الله تعالى إضافة رصيد إلى المكتبة الإسلامية بل لم يكن يحلم بذلك لأنها بالنسبة له أمنية بعيدة المنال، فكانت دروس التفسير تلقى شفاهة في المسجد، وكان همّه الوحيد تحقيق الاستفادة العلمية من حكم وأحكام القرآن الكريم والإصلاح في المجتمع خاصّة في الجانب العقدي ، الأخلاقي و الفكري، والعودة بالمسلمين إلى رحاب القرآن الكريم وتطبيق آياته على الواقع ومشكلاته لإيجاد الحلول القرآنيّة لها، واستغلّ الشيخ المنبر الذي بلّغ من خلاله تلك المعاني الجليلة و تلك الأسرار القرآنية ، فخاطب جميع الفئات ؛إذ كانت دروسه يحضرها العامّي والمتمدرس والمثقّف والأمّي والكبير والصّغير فاستعمل لغة مبسّطة ميسورة يشرحها باللغة العربية والمزابيّة حتى يفهم الحاضرين المعنى من الآيات بدقّة.

ولأنّ رغبته كانت ملحّة في الإصلاح وإفادة النّاس كان في آخر عمره يرجو الله مرارا أن لا يقبض روحه إلا بعد إتمام تفسيره وكان دعاؤه صادقا فصدقه الله فبعد ختمِه التّفسير بأربعة أشهر وافته المنيّة رحمه الله تعالى، وقد ألهمه الله تعالى فكرا ثاقبا ولفتات مباركة أفاد بها مكتبة التفسير من خلال بنات اللحظة التي كانت تأتيه أثناء دروس التفسير والتي اعتبرها محرّر التّفسير الشّيخ " عيسى بن محمد"[2] من البركات الرّبانية التي وهبها الله لهذا الشيخ الفاضل رحمه الله تعالى [3].

ثانيا : الفكر الإصلاحي عند الشّيخ بيوض

لاشكّ أنّ مهمّة الإصلاح في الأرض هي مهمّة الأنبياء، فما أرسل الله من نبيء إلا لهداية قومه إلى نور الحقّ، ونصحهم والقضاء على مختلف الظواهر الفاسدة التي تلحق الضرر بالأفراد والجماعات ، يقول شعيب عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾(هود 88)، ولأنّ العلماء ورثة الأنبياء فهم يقتدون بهم و يبلّغون رسالتهم . ومن العلماء الذين حملوا أمانة الإصلاح في الأرض وسعوا في ذلك سعي

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص28 بتصرّف.

[2] هو الشّيخ عيسى بن محمد الشيخ بلحاج ، محرّر تفسير " في رحاب القرآن" أستاذ اللغة العربية بمعهد الحياة القرارة غرداية .

[3] مقابلة شفهية مع الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بلحاج في مقر بيته بالقرارة ولاية غرداية بتاريخ :30 ديسمبر 2017.

المخلصين الإمام الشّيخ عمر بن إبراهيم بيّوض؛ الذي اتّبع نهج مشايخه الأوائل الذين أشعلوا مصابيح الإصلاح في وادي ميزاب، أمثال الشيخ أبي زكرياء ، والشيخ عبد العزيز الثّميني، والشيخ محمد اطفيش، كما تأثّر أيضا بروّاد حركة الإصلاح في المشرق، أمثال محمد عبدة وجمال الدّين الأفغاني ، ورشيد رضا، والكواكبي وشكيب أرسلان الذي التقى به في الحج سنة 1929م، فكان دائم الإشادة بفكره ومواقفه. كلّ ذلك ساعد الشّيخ بيوض على المضيّ قدما في نهجه الإصلاحي، يحارب البدع والخرافات وكلّ تطرّف وجمود فكري انطلاقا من دروسه المسجديّة في التفسير والحديث والسير وغيرها [1].

ولقد علم الشّيخ بيوض أنّ العمل الإصلاحي لا يمكن أن يؤتي ثمرته المرجوّة بسعي رجل بمفرده ، وأيقن أن لابدّ له من جنود ومن دعائم ، فاتصل بالعلماء المصلحين في القطر الجزائري ، حيث وطّد علاقته بالشّيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي فكان عضوا بارزا في جمعية العلماء المسلمين التي تأسست سنة 1931م، وتعاون جميعهم لإحياء اللغة العربيّة ،والوقوف ضد مخطّطات المستدمر الفرنسي الرّامية إلى تفريق الشّعب الجزائري [2].

وكان الشيخ بيوض يدخل أوساط النّاس ويحضر أفراحهم وأتراحهم وأسواقهم ويجلس مجالسهم ليس لغرض الجلوس والمؤانسة، بل بغرض دراسة مجتمعه ومعالجة مشاكله ، فكان كالغيث أينما حلّ نفع بتواضعه، وخلقه الرّفيع ونصحه للنّاس، "فكان فكره الإصلاحي يجري في عروقه مجرى الدّم فكان لا يترك فرصة إلا وزّع فيها أفكاره الإصلاحيّة وأرشد النّاس إلى ما في خيرهم وصلاحهم، معتمدا على بداهة فائقة وذكاء حادّ وأسلوب مقنع يفهمه الصّغير ويدرك مغزاه الكبير، ويعيه الأميّ كما يتأثّر به المثقّف"[3]. يقول الشّيخ محمد علي دبوز عن فكر الشّيخ بيوض الإصلاحي :"حدّثني الشّيخ بيّوض – رحمه الله– قال سرت إلى المجتمع المزابي ممّن يعاشرهم من الأمّيين ومن عهود الجهل بعض أمراض، كتقديس بعض قبور الأولياء، يعتقدون أنّ لهم تأثيرا في الكون ، وأنّهم سبب النّفع والضّرّ للأحياء؛ هذه العقيدة الخرافيّة المنافية للدّين، ووجدنا في الأعراس عادات لا تليق من إسراف وغيره ، تضرّ صاحب العرس والمجتمع، ووجدنا في المآتم مثل تلك العادات في مجتمعنا .. فقضى مشايخنا على ما استطاعوا وقضينا نحن على ما وجدنا منه، فتطهّرت النفوس، وتنظّف المجتمع، ولم يبق من ذلك إلّا شيء قليل عند العجائز الجاهلات، أمّا الجمهور فاستجاب لدعوتنا، وكان كما يريد الإصلاح – والحمد لله– "[4]، فكان الشّيخ بيوض يسعد حين يقضي على مظاهر الفساد في المجتمع ، ورغم التّعب الذي قد يتكبّده في مهامّه الإصلاحيّة إلّا أنّ سعادته واستبشاره بنشر الخير أكبر من أي تعب.

ومن الأمثلة التي تبيّن احتكاك الشيخ بيوض بأفراد مجتمعه ، واهتمامه بقضاياهم مصلحا ومربيا وداعيا إلى الخير قوله:" كنت قد ألقيت دروسا في سورة الحجرات سنة 1961م على إثر الفتنة التي وقعت في وارجلان والتي كان الدّافع إليها

---

[1] ينظر: قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج، الأسس الفكرية للنّهضة الإصلاحية في وادي ميزاب، مقال منشور في مجلة الحياة ، العدد 12 (1429/ 2008م) جمعية التراث القرارة – الجزائر، ص 299.

[2] محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما ، دار ناصر، الدار البيضاء، ط4، ص 25.

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ط1، (1389هـ_1969م) المطبعة العربيّة، الجزائر، ج3، ص 66.

[4] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر ، مطبعة البعث ، قسنطينة،ط1(1396 هـ-1976 م) ج5 ، ص 58.

العنصريّة البغيضة، وقد ذهب ضحيّتها بعض أبنائنا ...والبلدة كلّها مجتمعة ...لقد كان لهذه الدّروس أثر كبير في إطفاء هذه الفتنة ؛ لأنها وصلت كلّ الجهات "[1] ، فقد كان الشّيخ بيوض مصلحا وزعيما في مجتمعه ومرجعا أساسيا في مختلف المجالات الدينية والاجتماعية والسّياسيّة ومن الدّعائم الأساسيّة التي قوّت حركة الشيخ الإصلاحيّة:

أ. الاهتمام بقطاع التّربية والتعليم

اقتنع الشّيخ بيوض منذ بداية حركته الإصلاحيّة بضرورة النّهوض بقطاع التّربية والتّعليم، واقتنع أيضا أنّ الإصلاح لا يمكن أن يتحقّق إلّا بالعلم، باعتباره أحسن وسيلة لإنقاذ الأمة ممّا تتخبّط فيه من انحطاط وتخلّف، فسعى لإنشاء جيل متعلّم مؤمن برسالته مؤهّل لحمل راية الدّعوة إلى الله على بصيرة [2]بتأسيسه معهد الشباب عام 1925م، الذي شهد نقلة نوعيّة في تطوير المناهج، ثمّ انتقلت بناية المعهد التي كانت ببيته إلى جوار المسجد الكبير في قلب المدينة وسمّي " معهد الحياة " بعد تأسيس جمعية الحياة عام 1937.

أسّس معهد الحياة على قواعد إيمانيّة تتمثّل في العناية بتدريس ما يبلغ إلى مرضاة الله ، والجمع بين أصالة المبادئ وحداثة الوسائل يقول الشيخ عدّون :" الغرض من التّعليم في معهد الحياة ..هو التربية الدّينيّة بأوسع معانيها وذلك بالتّركيز على معرفة الله حق المعرفة ، والإيمان به إيمانا يبعث على العمل الصّالح والسّلوك الحسن والخلق الفاضل، فالمواد والفنون التي يزاولها الطّالب ويتعاطاها إنّما هي وسائل وبواعث يتدرّع بها ليكون رجلا تقيّا صالحا، مؤهّلا للدّخول في ميادين الحياة أيّا كان نوعها مجاهدا في سبيل الله طالبا لرضاه وليعيش حياة طيّبة أرادها الله له في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴿٢٤﴾ ﴾(الأنفال 24)[3]

وممّا يدلّ على حرص الشّيخ بيوض واهتمامه بإعداد الشباب الصّالح المصلح، المثقّف المتمسّك بتعاليم دينه، تأكيده على إبقاء المعهد بجوار المسجد لما في ذلك من أبعاد تربوية لا يكتسبها النّشء بالتّربية النّظرية[4].

كان إخلاص الشّيخ بيوض في أداء واجبه التّربوي من أهم أسباب نجاح رسالة معهده، وإنجاز ما كان يهدف منه في تحقيق الإصلاح الاجتماعي الشّامل[5]، ومن بين الأهداف التي يرجوها الشّيخ بيوض من خلال منهجه الإصلاحي:

- المحافظة على المجتمع من الانحلال الأخلاقي والانحلال الاجتماعي فالشيخ بيوض يرى أنه كلما ركزت حركات الإصلاح على هذا الجانب ووضعت ضوابط تضبط سلوك الفرد كلّما طهر المجتمع من المفاسد الاجتماعيّة.

---

[1] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق ج 20، ص 08.

[2] حمو بن عيسى الشيهاني، الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح، نشر جمعية الحياة، القرارة، غرداية، ص 361.

[3] ينظر: سعيد بن بلحاج شريفي، معهد الحياة نشأته وتطوره، ط 1، المطبعة العربية – غرداية، ص 68 بتصرّف.

[4] حمو بن عيسى الشّيهاني، الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح، مرجع سابق، ص363.

[5] المرجع نفسه ،ص 364.

- تعبئة المجتمع بشرائحه المختلفة في عملية الإصلاح والبناء؛ فيدركون بذلك أهمية هذا المنهج فيشاركون فيها.[1]

ب. استغلال دور المسجد

لم يجعل الإسلام وظيفة المسجد محصورة على الأمور العبادية فقط، من أمور الصّلاة والصّوم وغيرها، بل كان المسجد صرحا تنطلق منه الجيوش ومركزا تناقش فيه مختلف الأمور الاجتماعية والسّياسيّة والدّينيّة.

ولأنّ المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون في صلاة الجماعة خمس مرّات في اليوم فقد ساهم في تماسك وتقوية الرّوابط الاجتماعيّة فيه، لذلك فقد دعا الشّيخ إلى تركيز الجهود في المسجد لترسيخ الوعي الاجتماعي في عقول الجماهير ونفوسهم. فالمسجد كمؤسسّة تلتقي فيه كلّ الشّرائح الاجتماعيّة فهو أنسب مكان للتأثير في عقول الجماهير ونفوسهم وهو أنسب مكان لتربية أفراد المجتمع تربية اجتماعيّة.

ولقد استغلّ الشّيخ بيّوض من خلال دروسه المسجديّة هذا الإطار أحسن استغلال حيث اعتمد في ترسيخه للوعي الاجتماعي على الدّين، لأنّه يدرك أنّ زرع القيم والأخلاق في المجتمع لا يتحقق إلا بالتمسّك بالدّين، كما أكّد أنّ مهمّة المسجد لا تقتصر على إقامة الشّعائر التّعبّديّة والدّروس التّعليميّة ودروس الوعظ والإرشاد بل من مهامّه كذلك الإسهام في توطيد العلاقات الاجتماعيّة وتنسّق مصالحهم الدّنيويّة[2] ، فجعله المنبر الأول لحركته الإصلاحيّة حيث رابط أكثر من نصف قرن مجتهدا في تجديد دوره ليؤدّي رسالته الشّاملة ، فحرص على تفعيل دروسه والاهتمام بقضايا الأمّة الرّاهنة [3].

يقول الدّكتور محمد ناصر في استغلال الشّيخ بيوض للمسجد:" أدرك بحسّه الإصلاحي، واطلاعه على الحركات الإصلاحيّة في العالم الإسلامي أنّه لابدّ من وضع خطّة عمليّة طويلة النّفس ، تحوّل المسجد إلى منارة إشعاع ، تمدّ النّاس بالنّور في جميع مناحي حياتهم الدّنيوية منها والأخرويّة. فما كان منه إلّا أن حوّل المسجد إلى جامعة شعبيّة، لايقتصر فيها على الوعظ والإرشاد وحدهما، وإنّما يقدّم فيه أطايب المعرفة الإسلاميّة مبسوطة على مائدة القرآن الكريم وسنّة النبيّ محمّد "[4]

ومن بين الدّروس التي أفنى الشّيخ عمره في تقديمها وساهمت في إصلاح المجتمع وتربيته دروس التّفسير؛ التي اتخذها الشّيخ منطلقا له في الإصلاح، باعتبارها تدور حول كتاب الله تعالى الذي يعتبر المحور الأساس لتصحيح حياة المسلم وتقويم سلوكه، حيث يقول: " إنّ مقصدي من هذه الدّروس وغيرها هو مقصد الشّيخ محمّد عبده، أن أخلق عقولا تتذوّق بلاغة القرآن، ونفوسا فيها طهر القرآن، و تلامذة مصلحين يكونون جند القرآن"[5]. ويقول في إحدى الرسائل التي أرسلها إلى مسؤول:

---

[1] ينظر سكحال نور الدّين، منهج الشّيخ بيوض في الإصلاح الاجتماعي ، كتاب الملتقى الأوّل لفكر الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، نشر جمعية الحياة (8-9 محرّم 1421 الموافق لـ 13-14 أفريل 2000)، القرارة غرداية ، الجزائر ص.140.

[2] إبراهيم بن عمر بيوض ، حديث الشيخ الإمام ردّا على بعض الشّبهات والأوهام، إعداد وتنسيق الشّيخ محمد بن سعيد كعباش، المطبعة العربيّة، نشر جمعية النّهضة، العطف –غرداية، ص 27.

[3] سكحال نور الدين، الشّيخ إبراهيم بيوض ومنهجه في الإصلاح، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلاميّة، جامعة الأمير عبد القادر / قسنطينة – الجزائر السنة الجامعية (1994- 1999م) ، ص 377.

[4] إبراهيم بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ص 06.

[5] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، مرجع سابق، ج2، ص 30.

"وإنّما عملي كان منذ نعومة أظفاري لإعلاء كلمة الله وبثّ مبادئ الدّين الصّحيحة ومحاربة البدع والخرافات ، والظّلم والاستبداد ' والفسوق والفجور والتّحلّل والتّفسّخ بتقليد الغرب في رذائله ومخازيه"[1].

ثالثا :الدّور الإصلاحي للقصّة القرآنية:

تعتبر القصّة القرآنيّة إحدى وسائل التّعبير التي شغلت مساحة واسعة في القرآن الكريم ، لكونها من أبلغ الوسائل تأثيرا في النّفوس ، "فالأسلوب القصصي يتميّز بسحر يأخذ الألباب، كما أنّ التّنوّع والتّنقّل من قصّة إلى قصّة يمتلك النّواصي ويأسر القلوب ويشدّ الفكر"[2].

ويرتبط جانب الإصلاح ارتباطا وثيقا بمبحث القصص القرآني لأنّ المقصود منها إصلاح النّاس لقوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾(يوسف 02)، "فمعيار الحسن في القصّة هو نفع النّاس وانتظام شؤونهم المختلفة ، كما تبصّر قارئها بأحوال الأمم من أجل الاعتبار واستخلاص الدّروس والعظات التي تقيّد الحاضر وتستشرف المستقبل "[3].

ويعرّف **عبد الباسط بلبول** القصص القرآني بأنه" إخبار الله عمّا حدث للأمم السابقة مع رسلهم ، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم ، أفرادا وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية بهدف الهداية والعبرة. "[4] فالغاية الكبرى التي من أجلها ساق الله عزّ وجلّ القصص في كتابه الحكيم هو هداية النّاس إلى الحقّ وتبصيرهم به، وهذا ما نستلهمه من قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف 111) ،فقصص الأمم السّابقة التي وقعت في غابر الأزمان، ساقها الله تعالى في القرآن الكريم، حتّى يعتبر النّاس بما آلت إليه تلك الأقوام، فيأخذون العبرة من واقعهم ويتّعظون من عاقبة أمرهم ، ويرون بعقولهم نتيجة العناد والاستكبار عن الحقّ.

فالقصّة القرآنيّة تجعل القارئ يغوص في حلقاتها وتفاصيلها؛ فلا ينصرف عنها دون أن يحيط قلبه وعقله جملة من النّصائح والتّوجيهات والإرشادات، التي من شأنها أن تبيّن للقارئ المقصد الأساس من سياقها.

لذلك نجد القرآن الكريم في مجمل القصص يفصل بين أحداث القصّة بفاصل للتّذكير بأنّ الغرض من سردها ليس مجرّد الإخبار بأحداثها بل الهدف منها الاتعاظ والاعتبار.

---

(1) بالحاج بن سعيد شريفي، الإمام بيوض من خلال رسائله، كتاب الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، ص 209.

(2) صابر شميل، القصّة القرآنية مفهوما وأسلوبا، مجلةالجامعة، العدد 11، ص 45.

(3) إسماعيل الحسني ، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الأردن، ص 13.

(4) بلبول عبد الباسط إبراهيم ، القصص القرآني ، رسالة دكتوراه في التفسير ، جامعة الأزهر ، القاهرة ،ص 36 (نقلا عن اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني سليمان محمد علي الدّقور، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن ، إشراف الدكتور : فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، نوقشت سنة 2005.)

فالقصّة القرآنيّة تهدي القلوب وتربّي النّفوس وتحارب كلّ الآفات الاجتماعيّة والأخلاقيّة و"تعالج أسباب الفساد ودواعيه من خلال بيان أثر الفساد في التّربية البشريّة"[1]، فعندما يذكر القرآن الكريم عواقب الأمم السّابقة التي عاثت في الأرض فسادا وكفرت بأنعم الله عليها، ويبين عقوبتها في الدّنيا والآخرة ،فإنّ القارئ يخاف ويرتدع فيجتنب كلّ ما يؤدّي إلى تلك العواقب.

وللأهميّة الكبيرة التي تلعبها القصّة القرآنيّة في مجال الإصلاح والوعظ والتّوعيّة، فقد اهتمّ بها المصلحون في كلّ مكان ، فسالت أقلامهم في الحديث عن القصّة القرآنية شكلا ومضمونا، فأفرد بعضهم الكتابة عن قصص الأنبياء و العبر المستخلصة منها، وبعضهم انطلق منها ليعالج موضوعا معيّنا أخلاقيا أو سياسيا أو اقتصاديّا ...الخ، ومن بين العلماء المصلحين الذي أولى بها عناية فائقة الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض رحمه الله.

رابعا: وسائل الإصلاح من خلال القصّة القرآنية عند الشّيخ بيّوض:

من وسائل الإصلاح التي اعتمدها الشّيخ بيّوض – رحمه الله- دروسه التّفسيريّة التي كانت تلقى بالمسجد العتيق بالقرارة ، وبفضل الجهود المخلصة هي اليوم مؤلّفات يستفيد منها النّاس جيلا بعد جيل، حيث نجده يقول:" جعلت تفسير كتاب الله عمدتي في الدّعوة إلى الله تعالى ، وكنّا حربا على الاستعمار الذي يجنّد شبابنا جبرا ، ويمنعنا من التّعليم الحرّ جبرا، ويعمل كلّ وسيلة للتّعطيل ، وكنّا نداوره تارة ، ونداريه تارة ، وندافع تارة أخرى. ورأيت أنّ أنفع شيء لذلك هو كتاب الله تعالى فشرعت في التّفسير"[2]

ومن أغراض ومقاصد القصص القرآني التي ركّز الشّيخ بيّوض وأولاها عناية خاصّة غرض العبرة والموعظة، لما لهذا الغرض من أهمية في ربط وقائع القصص بالواقع المعيش، ومن خلال استقراء أسلوب الشّيخ في تفسير آيات القصص القرآني والإمعان في طريقته في عرض أحداث القصّة نتلمّس مفاتيح الإصلاح التي يطرق بها قلوب المسلمين لتكون أقرب إلى الفهم وإلى الاعتبار، ومن بين وسائل الإصلاح من خلال القصّة القرآنية عند الشّيخ بيوض التي وقفت عليها:

- **استخدام اللّغة البسيطة:** استخدم الشّيخ بيّوض لغة بسيطة واضحة يفهمها العامّي والمثقّف؛ لأنّ هدفه الأول هو فهم الآيات فهما صحيحا ، فاستخدم لذلك أيسر الطّرق موظّفا اللّغة الميزابية – هذا في التّفسير الشّفهي وهو ما رأيته مدوّنا عند الشّيخ عيسى في النّسخة الأوّلية التي اعتمدت على النّقل الحرفي لكلام الشّيخ بيوض من الأشرطة السّمعيّة"- واللغة العربيّة ، كما وظّف الأمثال الشّعبية المشهورة في أوساط النّاس ،كلّ ذلك لتقريب الفهم وتيسير المعنى.
- **بيان التّرابط الوثيق والتّشابه الكبير بين وقائع الماضي والحاضر:** كثيرا ما يشير الشّيخ بيوض إلى التّشابه الكبير بين أحداث القصّة في الماضي وبين واقع المسلمين اليوم؛ ويرى الشّيخ أنّ التّشابه في الوقائع يستلزم منه التّشابه في النّتائج،

[1] عبد الرحمن داوود جميل عبد الله ، منهج القصّة في ترسيخ الأخلاق ، رسالة ماجستير ، جامعة النّجاح الوطنيّة نابلس- فلسطين ،ص 42.
[2] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 38.

وفي بيان ذلك التّشابه يعتبر القارئ ويبتعد عن كل ما من شأنه أن يؤدّي إلى غضب الله عزّ وجلّ ، مثال ذلك في تفسيره لقصّة آدم عليه السّلام في سورة طه حيث ذكر الله تعالى الفتنة التي مرّ بها أبونا آدم فقال الشّيخ :" هذه هي قصّة البشريّة جمعاء، وهذه هي فتنتهم جميعا؛ فما حدث لأبينا آدم وأمّنا حوّاء مع إبليس اللعين ، والفتنة التي فتنهما بها حتّى أخرجهما من الجنّة، وأنزلهما من الأرض هو نفس ما نمتحن به اليوم ونبتلى به"[1]

- **بيان الغرض الأساس والمحور الذي تدور حوله القصّة القرآنيّة** : في بداية كلّ قصّة يبيّن الشّيخ الغرض العام من القصّة القرآنيّة ؛ليبيّن أنّها سيقت للاعتبار والاذكار، وأنّ في ذكر القرآن لها عبرة وحكمة فيرشد من خلالها القارئ إلى التّدبّر في أحداث ووقائع القصّة لأنّ القارئ إذا فهم المعنى وقف عليه.
- **التّذكير ببشريّة الرّسل للاقتداء بهم:** يذكّر الشّيخ بيّوض في كلّ مرّة ببشريّة الرّسل والأنبياء حتى لا يتحجّ محتجّ بكونهم أنبياء، وأنّه لا يمكن للإنسان أن يتّخذ من النّبي قدوة .
- **الاستطراد في المواضيع المهمّة:** يستطرد الشّيخ في المواضيع المهمّة والحسّاسّة ولو أخذ منه ذلك عدّة صفحات ، يبسّط ويشرح ويفصّل فيها القول للقارئ حتى يحرّك المشاعر ويحقّق هدفه الإصلاحي.[2]

وما هذا الاستطراد إلا استشعار منه للمسؤولية الملقاة على عاتقه، والحرص الشّديد على الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه حتى يستوعبه النّاس ويفهومنه، خاصّة وأنّ دروسه التّفسيريّة يحضرها جمع غفير من النّاس.

- **استخدام ضمائر المخاطب:** غالبا ما يستخدم الشّيخ بيوض صيغة المخاطب، حتى يدرك كل قارئ وكل سامع أنّ الكلام موجّه له بعينه ، وهو بهذا الأسلوب يخاطب ضمائرهم ليوقظها ، ومشاعرهم وأحاسيسهم ليستميلها ، فيكون وقع الكلام على القلوب أكبر وأقرب، ومثال ذلك كثير في تفسيره مثل قوله :" حافظ أيّها الشّاب المسلم على تقاليدك وعلى لباسك وعلى لحيتك "[3] " يجب عليكم يا معشر الشّباب أن تدركوا هذه الأسرار"[4] "لماذا تريد أيّها الشباب المسلم أن تسير على حافة الحاوية"[5].

خامسا: البعد الإصلاحي للقصّة القرآنية :" قصّة النّبي لوط – عليه السّلام–أنموذجا"

1.مجمل قصّة لوط عليه السّلام

---

[1] إبراهيم بن عمر بيّوض ، في رحاب القرآن ، مرجع سابق ، ج3، ص 405.

[2] انظر مثلا إلى تفسير قوله تعالى :" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات " جاءت هذه الآية بعد الحديث عن سلسلة مختصرة لقصص الأنبياء ، فتكلّم الشّيخ في تفسير هذه الآية بحرقة شديدة ولهجة حادّة عن واقع الصّلاة والأخلاق في حياة المسلمين في أكثر من أربعة عشر صفحة (المرجع نفسه، ج3، ص130)

[3] المرجع نفسه ،ج 3، ص 134.

[4] المرجع نفسه، ج 3، ص 136.

[5] المرجع نفسه، ج 3، ص 134.

لوط عليه السّلام هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخي ابراهيم الخليل عليهما السّلام ولم يؤمن به من قومه سواه[1] واختلفت روايات المفسرين في ذكر نسب لوط عليه السّلام فذكر الشّيخ بيوض أن اسمه هو هارام[2] وجاء في قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار أن اسمه هاران بن تارح [3]ولا يهمنا صحّة الاسم فيكفينا أن إبراهيم الخليل هو عمّ سيدنا لوط عليهما السلام.

آمن لوط عليه السلام بإبراهيم عليه السلام واهتدى بهديه كما قال تعالى:" فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " العنكبوت، وتبعه في رحلاته[4] وهجرته إلى الأرض المقدسة قال تعالى : "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ". فلوط أرسله الله تعالى إلى سدوم وهو ما يعرف الآن بشرق الأردن وأما إبراهيم فمكث في فلسطين[5].

حيث جاء ذكر اسم لوط عليه السلام وقصّته في سبع وعشرين موضعا في القرآن الكريم، وردت قصته بشيء من التفصيل في سورة هود والحجر والنّمل والشّعراء والعنكبوت ، أما في باقي السور فقد جاءت فيها القصّة مختصرة ورد فيها ذكر للعذاب أو لعظيم الفاحشة التي أتوا بها ،أو ذكر لاسمه مع أسماء الرّسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الناس لأنّ دعوتهم واحدة وهي الدّعوة إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به .

قوم لوط هم أهل سدوم و عامورة، كانوا من الشّر بمكان ، وكانوا يقطعون الطّريق على السّابلة ، وقد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحا ولا يرغبون في حسن ...وكانوا قد ابتدعوا المنكرات ما لم يسبقهم إليها أحد من خلق الله، وذلك أنّهم كانوا يأتون الذّكران من العالمين شهوة من دون النّساء، وأنّ لوطا قد وعظهم ونصحهم وحذّرهم من عذاب الله فلم يرتدعوا، فلمّا ألحّ عليهم بالعظات هدّدوه بالرّجم والإخراج من بينهم، إلى أن جاء إلى لوط الملائكة الذين مرّوا على إبراهيم عليه السّلام قال تعالى : ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾(هود 70) جاؤوا لوطا بهيئة غلمان حسان الوجوه فجاء أهل القرية إلى لوط طالبين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة، فضاق بهم ذرعا وهو يردّهم حتى طلب إليهم أن يأخذوا بناته مكانهم فأعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم، وأنّ الله أرسلهم للتّنكيل بأولئك القوم ، ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك الغلمان بالقوّة طمس الله أعينهم ثم أخرج الملائكة لوطا وابنتيه من القرية، وأمروهم أن لا يلتفت أحد منهم وراءهم إلا

---

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة المملكة العربية السّعودية، ط (1420 هـ- 1999م)، مج 6، ص 272.

[2] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج4، ص 95.

[3] عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 112

[4] المرجع نفسه، ص 112.

[5] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج7 ، ص 440.

زوجته كانت كافرة غير مؤمنة أصابها ما أصاب أهل القرية من العذاب؛ فأمطر الله عليهم حجارة من سجّيل وقلبت ديارهم وجعلت عاليها سافلها [1].

2: نظرات الشّيخ بيوض الإصلاحيّة في قصّة لوط عليه السلام

اهتمّ الشّيخ بيّوض بالجانب الأخلاقي، فانتقد مظاهر الفساد والانحلال الخلقي، والإباحة والميوعة ، وبيّن الشّيخ أنّ النّفس تولد على الفطرة الطّاهرة النّقيّة فكلّ ما يخالف الفطرة وجب محاربته والتّحذير من أخطاره وأضراره، "ويرى الشّيخ بيوض أنّه كلّما كان اعتمام حركة الإصلاح بهذا الجانب كبيرا، كلّما كان بإمكانها المحافظة على طهارة المجتمع من المفاسد، وعلى شبكة علاقاته من التّفكّك"[1] موضوع القصص القرآني منبرا لتهذيب السّلوك الإنساني وبخاصة قصص الأنبياء مع أقوامهم، فتلك القصص فيها عبر شتّى وفوائد عظيمة يستفاد منها في غرس القيم النّبيلة وتعليمهم الأخلاق الفاضلة، والصّبر على المعصية والطاعة .

فاستعمال القصّة والاهتمام بها كان له الأثر الكبير في نفوس السّامعين فقد تقوّم القصّة ما لا تقوّمه المحاضرة، فحاول الشّيخ استخراج المعاني من كل قصّة من قصص القرآن الكريم مركّزا على جوانب العبرة و الموعظة فيها، مستنبطا منها الأحكام والعبر مسقطا إياها على واقع المسلمين، معالجا ما يمكن علاجه من الانحرافات السّلوكية والعقدية والسّياسيّة أيضا متّبعا المنهج القرآني في قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف 03) ، والمنهج النّبوي امتثالا للأمر الرّباني في قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف 176).

وقد فصّل الشّيخ الحديث في قصص الأنبياء خاصّة وردّ على الخرافات والأساطير التي تقدح في عصمة الأنبياء أو تنافي الشّرع والعقل، كما اهتمّ بالتّرابط القصصي وإبراز المحاور الأساسية بين السّورتين فأكثر، كما اهتمّ أيضا بالتّفسير الموضوعي للقصّة حيث يجمع ما جاء مفرّقا بين ثنايا السّور وجمعه في صورة كاملة لقصّة مترابطة المشاهد متسلسلة الأحداث؛ فهو يستعين بهذا اللّون من التّفسير من أجل ربط الآيات ببعضها ورسم الصّورة الكاملة لأي موضوع من مواضيع القرآن الكريم أو قصّة من القصص.

وقصّة لوط عليه السّلام تعتبر من أبرز قصص الأنبياء التي ركّز عليها الشيخ بيوض وانطلق منها لتصحيح بعض السّلوكات الخاطئة، حيث جعلها منبرا لمحاربة كافّة الرّذائل المتفشّية في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة مبرزا منشأها وأسبابها وعلاجها، حتى يطهّر المجتمع ويحمي أفراده من مختلف الآفات والمفاسد الاجتماعيّة.

جعل الشّيخ بيّوض قصّة لوط عليه السّلام محورا للإصلاح الاجتماعي لما تحمله هذه القصّة من فوائد وأحكام تهذّب النّفوس وتقوّم السّلوك، ولتصوير مشاهد القصّة كاملة وجعل أحداثها متتالية ومتسلسلة، فسّر الشيخ الآيات تفسيرا موضوعيا جمع فيه أحداث القصّة المتفرّقة في سور القرآن الكريم حتى يفهم المتلقّي مقاصد وأهداف الله تعالى من خلال هذه

[1] نور الدين سكحال، الشيخ بيوض ومنهجه في الإصلاح، مرجع سابق، ص 131.

القصّة، حيث اشتملت هذه القصة على غرض رئيسي وهو إظهار سنّة الله تعالى التي لا تتغير ولا تتبدّل في عقابه للمكذّبين وانتقامه منهم ، وأن الله تعالى يمهل ولا يهمل وأن العذاب الذي لحق قوم لوط سيلحق أيضا كل من سار على طريقتهم ومارس فحشهم.

وقد ركّز الشّيخ من خلال تفسير هذه القصّة على بعض القضايا الاجتماعية والأخلاقية فوقف عندها وكرّرها في عدة مواضع ونبّه إليها في كلّ مرة يتعرّض فيها لتفسير قصة لوط عليه السلام مع قومه، وأفاض الشّرح فيها حتى يفهم المسلم دوره الأساس في المجتمع من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفهم أيضا خطورة تعدّي حدود الله واقتراف الفواحش التي نهى عنها؛ لأنّ غضب الله ولعنته ستحل عاجلا أم آجلا على كلّ ظالم، كما فصّل القول فيها وأورد لفتات طيّبةّ من واقعنا المعيش ومن جوانب الإصلاح التي أشار إليها الشّيخ بيوض من خلال القصّة:

أ.إصلاح الأخلاق

ركّز الشّيخ على تربية المجتمع وتهذيب أخلاقه، ففصّل الحديث عمّا انتشر في قوم لوط من مظاهر الفساد الأخلاقي وأسقطها على واقع الشّباب المسلم الذي باتت أخلاقه لا تختلف كثيرا عن أخلاق قوم لوط، ومن بين المظاهر التي حاربها من خلال هذه القصّة:

1. محاربة ظاهرة الشّذوذ الجنسي :

من خلال عرضه قصّة قوم لوط مع نبيّهم لوط نبّه الشّيخ بيوض إلى قبح فعلهم وعظيم جرمهم في حق الله تعالى وحق الأطهار أمثال لوط ومن آمن معه، هذه الفاحشة التي خرجوا بها عن الفطرة الإنسانية وحتى الغريزة الحيوانية هذه الفاحشة التي لم يأت بها أحد قبلهم فكان عقابهم وزرهم ووزر من عمل بها بعدهم [1].

هذه الفاحشة التي لم يسلم منها قو لوط فحسب بل أصبحت تمارس اليوم ولا رادع لهم لذلك فالشّيخ بيّوض وقف من منبره منددا مستنكرا ما يجري في العالم العربي والإسلامي من تفشي هذه الظواهر حيث ذكر الشّيخ في تفسيره ما انتشر في البلدان الغربية من تفشي هذه الظّواهر المنكرة وعدم اتعاظهم بآثار العذاب الذي حقّ على قوم لوط _ المتبقيّة تحت البحر الميّت كما أثبت علماء الآثار _ ثمّ يؤكّد على أنّ العذاب سيلحق بهم كما لحق قوم لوط من قبل فالله يمهل ولا يهمل لأنّ هذه الفاحشة ما تفشّت في قوم ظاهرة كانت أو مستترة إلا نزل بهم البلاء والعذاب من الله تعالى ولكي ينبهنا على خطورة هذه الفاحشة ذكر إحصائيات لدول غربية تقنّن لممارسة الرّذيلة قال :" ويعدّ اليوم في أمريكا حوالي عشرين مليون من الشّواذ جنسيا اتخذوا دورا رسميّة للفسق والعياذ بالله، كذلك الشّأن بالنّسبة للبرلمان الإنجليزي الذي صوّت فيه بإباحة الفاحشة رسميّا"[2].

---

[1] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، المرجع السابق، ج8، ص، 116

[2] المرجع نفسه ،ج 8، ص116.

يبيّن الشيخ هذه الإحصائيات ليقدّم النّصح للمتلقّي ويدعوه إلى الطّهارة والنّقاوة والامتثال لحديث رسول الله ﷺ:" يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ " [1] ، وليؤدّي رسالته في الدّعوة إلى الله عز وجلّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر صادعا بالحقّ مجاهرا به حتى يصفّي ويطهّر المجتمع الجزائري من مثل هذه الرّذائل.

إنّ محاولة الإصلاح في المجتمع والرّقيّ بأخلاق أفراده أصبح اليوم ملحّا لما كان من تفشّ مخز وفاضح لهذه الظّاهرة والتي يطلق عليها اليوم بزواج المثليين وأصبحت لهم حقوقهم وحرّياتهم في العديد من البلدان الغربية كفرنسا وغيرها من البلدان.

لكنّ انتشار هذه الفاحشة في البلاد الإسلامية هو البلاء الأعظم والطّامة الكبرى إذ جاء في جريدة الوطن السّعودية بتاريخ 2013/06/16 أنّ أجهزة الأمن السّعودية فككت تجمّعا سرّيا لنحو ثمانين شابا مثليا في مكّة خلال احتفالهم بزواج اثنين منهم، كما أعلنت قناة تلفزيونية لبنانية سنة 2014 عن زواج شابين مثليين الأمر الذي أخرج العلماء عن صمتهم وحذّروا من هذا الفعل وجعلوا عقوبة فاعله القتل. لكنّ الأمر طوي بعد ذلك وكأنّ شيئا لم يكن، ولاشكّ أنّ أمثال هؤلاء كثر في بلداننا الإسلاميّة فمنهم مستتر ومنهم مجاهر.

2 :بيان خطورة المجاهرة بالمعصية

في قوله تعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾(العنكبوت 29)

وقف الشّيخ بيوض عند هذه الآية واستخرج المعاني التي غابت عن كثير من المفسّرين حيث بيّن من خلالها الجريمة الأخرى التي ارتكبها قوم لوط والتي اعتبرها أشدّ من جريمة اللواط نفسها وهي المجاهرة بالمعصية، فقوم لوط ارتكبوا الفاحشة على مرأى ومسمع النّاس وكانوا يأتونها جهارا نهارا ، لا يستحي بعضهم من بعض وكانوا يمشون عراة وينطقون بالفحشاء[2]، هذه الحالة لم يصل إليها أحد قبلهم كما قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (العنكبوت 28) ، فلم يكتفوا بقبح فعلهم بل زادوه قبحا وفحشا لمجاهرتهم به ، لأنّ إظهار المعصية أمام الملأ وعلى مرأى ومسمع الجميع يجرّئ الناس عليها وتشجّعهم على

[1] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم (1400)، دار طيبة الرّياض، ط1 (1427هـ - 2006م) مج 1، ص 630.

[2] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج8، ص 126.

القيام بها لأنّ الخوف والحياء من الإقدام عليها يتلاشى تدريجيا بكثرة المشاهدة كما يقول الشيخ بيوض "فإن ألفوها زال قبحها بل وينقلب قبحها حسنا "[1]

عالج الشّيخ انطلاقا من هذه الآية بعض الأفكار المغلوطة التي يعتقدها بعض النّاس وهي أن المجاهرة بالمعصية دلالة على صفاء السّريرة فكيف ذلك؟

يعتقد كثير من النّاس أنّ المجاهر بالمعاصي كشرب الخمر أو الزنى أو سب الله خير من المتستّر لأنّ المتستّر بالمعاصي مخادع في نظرهم يبدو للنّاس بوجه حسن وهو عكس ذلك، وهو حسب رأيهم منافق يظهر للناس ما لا يخفيه، بينما المجاهر طاهر السّريرة لأنّ قبح فعله للنّاس ظاهر ولا شيء يتستّر به فينخدع به النّاس.

ليس هذا فحسب بل بعضهم ينظر للأطهار بعين الاحتقار والازدراء لأنهم يعتقدون أنهم يتصنّعون بتديّنهم ومنافقون، فهؤلاء النّاس شهدوا على أنفسهم بأقبح أنواع الفجور.

ويحضرني موقف حصل معي في المرحلة الثانوية حين نصحت زميلة لي كانت تدرس معي وجدتها تحّدث شابا بالهاتف على مسامعنا، فلما أنهت حديثها معه نصحتها بترك مثل هذه المكالمات إرضاءا وخوفا من الله تعالى فردّت عليّ نصيحتي وقالت نحن سرّنا كعلانيّتنا كل شيء باد وظاهر للناس ليس مثلكم أنتم تبدون للنّاس بأخلاق وأعمال حسنة وباطنكم مليء بالمعاصي" – لا حول ولا قوة إلا بالله– .

فحاول الشيخ التّنبيه على هذه الأفكار التي تراود أذهان الكثير من النّاس، وأرشد إلى عظيم قبحها وعظيم عقابها عند الله تعالى لأنه تشبّه بقوم لوط في المجاهرة بها؛ لأنّ اقتراف الذّنب معصية والمجاهرة بها معصيتان، ولأنّها أيضا سبب في افتتان كثير من النّاس مما يؤدّي إلى انتشار المعاصي بين النّاس. ثمّ دعا إلى ضرورة الابتعاد عن مثل هذه الرّذائل اما إذا ابتلي الانسان فليبالغ في الاستتار والتّخفّي [2].

3: أضرار العري على المجتمعات

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأعراف 82).

أسقط الشّيخ بيوض هذه الآية على الواقع المعيش إذ أصبح التّدين والالتزام إرهابا ، وأصبح الحجاب محظورا في العديد من البلدان الغربية والعربية ، فقوم لوط أمروا بطرد آل لوط من البلاد لأنهم أطهار انتقدوا فعلهم الشنيع واستقبحوه .واليوم على نفس الشاكلة يصدر قرار بمنع الحجاب في الجامعات العربية [3]والغربية واعتبروا الحجاب عيبا وعارا .

---

[1] المرجع نفسه، ج8، ص126.

[2] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج8 ،ص 108- 109.

[3] لقد أعلن " زين العابدين بن علي " في أيّامه الأولى وتحديدا في خطاب له في مارس 1988م أنّه متمسّك بمنهج بورقيبة في مسألة المرأة والحجاب، وسجلت لجان حقوق الإنسان تجاوزات خطيرة وازداد تتبع المحجات واضطهادهم(مقال بعنوان" ظاهرة الحجاب في تونس والتناقض" بتاريخ 01 أفريل 2013 www.tunisia-sat.com .

كما انطلق الشّيخ من هذه الآية ليعالج الدّياثة في المجتمعات، حيث أصبح الرّجل لا يغار على عرض ابنته أو اخته أو زوجته فيتركها تخرج متبرجة متعطرة متزيّنة سافرة ، بل ويفتخر بزينتها أمام الرجال ويسعد بلباسها لأنّ ذلك في نظره عنوان للتّحضر والغنى ، ولو حرص الرّجل على عرض نسائه لما وصل المجتمع إلى ما وصل من التّبرّج والسّفور والعري .يقول الشّيخ بيّوض متحدّثا عن قوم لوط :" أولئك لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه بين عشية وضحاها وإنّما بدأوا شيئا فشيئا وكان ذلك القبح ينقص في نظرهم شيئا فشيئا حتى صار حسنا " وهذا الكلام يؤكّده أنس رضي الله عنه حيث قال :" **إِنَّكُم لَتعمَلُونَ أَعْمَالاً هِي أدقّ في أعينِكُم مِنَ الشَّعر كنّا نعدّها على عهد النَّبيّ صلَّى الله عليْه وسلَّم الموبِقَاتِ**" [1]. إذا كان هذا الكلام موجّه إلى أناس في زمن كان من خير القرون والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلّم قال:" **خَيرُكُم قَرْني ثُم الذين يَلُونَهُم ثُمّ الذِينَ يَلُونَهُم ثمُّ يَكُون بَعْدَهُم قومٌ يَشْهَدُونَ ولا يُستشْهدُون ويخونون ولا يُؤْتَمَنُون وينذِرُون ولا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ** "[2] فكيف بذنوبنا نحن وقد أصبح الإسلام غريبا واللّباس الإسلامي عيب وعار، واللّحية إرهاب وطاعة الزوج ذلّ والرّحمة بالزّوجة ضعف، وأصبح الاستدلال بالقرآن والحديث تشدّد وتخلّف نسأل الله العافية .

ثمّ ذكر الشّيخ صورا للعري في المجتمعات الإسلاميّة وأخطارها يقول الشيخ:" هذا الذي نشاهده ونراه اليوم، ليس في بلاد الكفر فقط بل حتى في بلاد المسلمين فقد بدأ فيها" الجيب" هذا القميص النّسوي الذي يرتفع فوق الرّكبة حتى تكاد تنكشف السّوءة الكبرى" [3].

ب: إصلاح الأسرة والعلاقة الزّوجيّة

لم يترك الشيخ بيوض جانبا من جوانب الحياة إلّا أفاض فيه، ومن الجوانب أيضا التي أولاها اهتماما قضايا الأسرة ، فأكّد على ضرورة التّخطيط في العلاقة الزوجية من أجل حياة كريمة، حيث استنبط من قوله تعالى:﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ ﴾(العنكبوت 24) معان غابت عن كثير من المفسّرين فتبحّره في معاني القرآن الكريم جعله يخلص إليها، فواضح من خلال الآية الكريمة أنّ العذاب لما نزل على قوم لوط كان نتيجة خروجهم عن قانون الفطرة والتّجاذب الجنسي الفطري بين الذّكر والأنثى، وانطلاقا من هذا التّحليل والتّفسير بيّن الشّيخ بعض الآداب والأخلاق في العلاقة الجنسيّة بين الرّجل والمرأة حيث بيّن أن هذه العلاقة غرضها ابتداء هو الحفاظ على النّوع والتناسل والتّكاثر قبل أن تكون قضاء شهوة، وجعل التفاتة قيّمة أبرز من خلالها العلاقة الوطيدة بين قضاء الشّهوة والحفاظ على النّوع، والحكمة الرّبانية في ذلك؛ لأنّ الله تعالى لو أمر بالجماع من أجل بقاء النّوع فقط لما فعله إلا قليل ولما

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتّقى من محقّرات الذنوب، برقم 6492، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ص 1159.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدّنيا والتّنافس فيها، برقم 6428، ص1149.

[3] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج8 ص 109.

مالت إليه قلوب البشر، فجعل غرض آخر للجماع وهو قضاء الشّهوة فكان هذا التّجاذب الفطري الطّبيعي وفق الفطرة الإلهية لضمان استمرار الأنواع، والحكمة كلّ الحكمة في هذا التجاذب الغريزي بين الذكر والانثى مهما امتنعا عن بعضهما.

فالشّهوة ما هي إلا وسيلة لغاية كبرى وهي عمارة الأرض، كما دعا الشيخ ونصح كل مسلم بضرورة تنظيم النّسل وإعطاء كل من الأم حقها والابن حقه حيث بتنظيم النسل نحقق ما يلي:

- القضاء على مشاكل المرأة جرّاء كثرة الحمل.
- القضاء على مشاكل الأبناء وأمراضهم جرّاء رضاعهم لحليب وقت حمل الأم، وهذا يعرّضهم للوهن ومختلف المشاكل الصّحية .
- استكمال رضاعة الأبناء وذلك حق للولد.

كما حذّر الشّيخ من كلّ صورة لقضاء الشهوة التي لا تحقق الإنجاب لأنها مخالفة للفطرة ومحرّمة.[1]

فالعلاقة بين هذا الوصف وهذا التحليل هو أن قوم لوط أرادوا قضاء الشهوة بطريقة محرّمة مخالفة للفطرة وكل من حذا حذوهم نال عقابهم.

ج. الإصلاح الفكري:

دعا الشّيخ بيّوض إلى إصلاح الفكر بتوجيهه التّوجيه السّليم وفق الفطرة السّليمة، وذلك من خلال التّدبّر والتّفكر في آيات الله عزّ وجلّ ، لأنّ إعمال العقل واستخدامه في التفكير السّليم يبعد الإنسان عن الجهل الذي يهدم العقل .وعدم التفكير وتعطيل العقل عن الإمعان والتدبّر هو أوّل مراتب الجهل.

فمن خلال أسلوب الشّيخ في تحليل الآيات والوقوف عند كلّ كلمة فيها وتحليلها ، يكشف لنا عن رغبته الملحّة في إخراج جيل مثقّف مفكّر مبدع في الاستنتاج والتحليل ؛لا يمرّ على الآيات مرورا عابرا ولا يقرؤها قراءة سطحيّة، وإنّما يستنطقها و يقرأ ما ترمي إليه قراءة المبصر المتدبّر. فمن خلال قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النمل55)، علّل وصف الله تعالى لقوم لوط بالجهل ، لأنهم عموا عن حقائق الفطرة السّليمة في أصل الخلق وسرّ اختلاف الجنس، فأساس كل إصلاح هو الفهم والعلم.

خاتمة :

تفسير " في رحاب القرآن " تفسير مليء بالحكم والفوائد والقضايا الإصلاحيّة التي ساهمت في إصلاح المجتمع، والقضاء على كل الانحرافات الأخلاقية والعقدية، فمن خلال زيارتي للمجتمع الإباضي بالعطف وبني يزقن والقرارة بولاية

[1] إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، مرجع سابق، ج9، ص 136.

غرداية بالجنوب الجزائري تبيّن لي الأثر الكبير للدّروس التّفسيرية التي تلقى في المساجد هناك، حيث كانت تلقى من المسجد العتيق ثم تنقل هذه الدروس إلى باقي المساجد عبر خيوط الهاتف؛ هذه الهمّة وهذه الجهود المبذولة إنّما تدلّ على عزمهم في الإصلاح وإفادة المجتمع ، وممّا لا شكّ فيه أنّ ربط تلك الدروس التّفسيرية بواقع المسلمين من خلال قصص الأنبياء خاصّة، ساهمت في حماية المجتمع من مظاهر الفساد المختلفة سواء كانت أخلاقية أو اجتماعيّة أو سياسية ، فالشّيخ بيوض لا يعرض القصّة إلا من أجل العبرة واستخلاص الحكم منها، معرضا عن كل التفصيلات التي لا فائدة ترجى من ورائها، يقطف بذلك ثمار كل قصّة ويقدمها لأفراد المجتمع ليرقى بقيمهم ، ومن النّتائج التي نتوصّل إليها في خاتمة هذا المقال :

- القصّة القرآنيّة وسيلة من وسائل القرآن الكريم لتهذيب النّفوس وتقويم السّلوك.
- تعتبر القصّة القرآنيّة وسيلة قرآنيّة مهمّة وأساسيّة في الإصلاح عند الشّيخ بيّوض.
- تعتبر قصّة لوط عليه السلام منبرا للإصلاح الأخلاقي والسّلوكي.
- تفسير في رحاب القرآن مليء بالعبر والفوائد التي تعالج واقع المسلمين اليوم.
- تشابه الوقائع في قصّة لوط عليه السّلام وفي واقع المسلمين اليوم يستلزم منه التّشابه في العواقب والآثار .
- من خلال الإسقاطات الواقعيّة للقصّة القرآنيّة فإنّ الشّيخ بيوض يدعو إلى تدبّر القرآن الكريم وفهم غايات وأهداف القصص القرآني.
- جعل الله تعالى عقاب قوم لوط من جنس عملهم فلمّا قلبوا الفطرة السّليمة قلب الله عليهم ديارهم قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الحجر: 74) .
- ضرورة المساهمة في تطهير المجتمع من كل فساد أخلاقي فإنّ الله يمهل ولا يهمل.
- كلّ شيء يتولّد بالتّلاقح بين الذكر والأنثى حتى النّباتات فكل اتصال على خلاف ذلك مخالف للفطرة.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا – المصادر:

01– القرآن الكريم : برواية حفص عن عاصم.

02– مصحف المدينة المنوّرة للنّشر الحاسوبي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، الإصدار الثّاني.

ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدّمشقي:

03 – تفسير القرآن العظيم ، ، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة المملكة العربية السّعودية، ط(1420 هـ- 1999 م).

البخاري ، عبد الله محمد بن إسماعيل:

04 – صحيح البخاري، ضبط ومراجعة وفهرسة الشّيخ محمد علي قطب، الشيخ هشام البخاري، ط (1424 هـ - 2004م) المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .

بيوض، إبراهيم بن عمر:

05 – في رحاب القرآن: تحرير الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، جمعية التراث، القرارة، غرداية.

جمعية التراث:

06 - معجم أعلام الإباضية، القرارة غرداية ط2005م

مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري

07 - صحيح مسلم، دار طيبة -الرّياض، ط1 (1427هـ- 2006م) مج 1، ص 630.

ثانيا – المراجع

بيوض، إبراهيم بن عمر

08 – ، حديث الشّيخ الإمام ردّا على بعض الشّبهات والأوهام، إعداد وتنسيق الشّيخ محمد بن سعيد كعباش ، المطبعة العربيّة ، نشر جمعية النّهضة، العطف -غرداية

الحسني، إسماعيل

09 – مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره، المعهد لعالمي للفكر الإسلامي ، الأردن،

دبوز، محمد علي:

10 – نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1(1969هـ-1339 م).

11 – أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1(1400 هـ- 1980م)، مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر.

شريفي، سعيد بن بلحاج (الشيخ عدون):

12 – معهد الحياة نشأته وتطوره، ط1، المطبعة العربيّة غرداية (1401هـ -1989م)

الشيهاني، حمو بن عيسى

13 – الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح، دار الخلونيّة- الجزائر ، جمعية التراث غرداية.

ناصر، محمد صالح

14 – الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما ، دار ناصر -الدار البيضاء ، ط4(2017م)

النجار، عبد الوهاب :

15 – قصص الأنبياء، ط3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت_ لبنان.

ثالثا- رسائل وبحوث:

بالحاج بن سعيد شريفي:

16 – الإمام بيوض من خلال رسائله، بحث منشور في كتاب الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

سكحال نور الدّين:

17 – الشيخ بيوض ومنهجه في الإصلاح، (1899هـ- 1981م)رسالة ماجستير في العلوم الإسلاميّة ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة- الجزائر، السنة الجامعيّة 1994-1995م.

18 – منهج الشّيخ بيوض في الإصلاح الاجتماعي، كتاب الملتقى الأوّل لفكر الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، نشر جمعية الحياة (8-9 محرّم 1421 الموافق لـ 13-14 أفريل 2000)، القرارة غرداية ، الجزائر.

سليمان محمد علي الدّقور

19 – اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن ، إشراف الدكتور : فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، السنة الجامعية 2005 م.

عبد الله، عبد الرحمن داود جميل :

20 –منهج القصّة في ترسيخ الأخلاق ، رسالة ما جستير ، جامعة النجاح نابلس فلسطين ، السنة الجامعية 2010– 2011

رابعا :مجلّات

مجلة الحياة : جمعية التراث

21 – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج، الأسس الفكرية للنّهضة الإصلاحية في وادي ميزاب، مجلة الحياة ، العدد 12 (1429/ 2008م) ، جمعية التراث القرارة .

مجلة الجامعة ،

22 – صابر شميل، القصة القرآنيّة مفهوما وأسلوبا، مجلة الجامعة ، العدد 11 (2009).

رابعا – مقابلات:

23 – مقابلة مع الشّيخ عيسى بن محمد الشيخ بلحاج،القرارة غرداية ، يوم30 ديسمبر 2017.

خامسا – مواقع إلكترونيّة:

24 – مقال بعنوان" ظاهرة الحجاب في تونس والتناقض" بتاريخ 01 أفريل 2013 www.tunisia-sat.com .